

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس الثاني والثلاثون

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً نافعاً، اللهم اغفر لنا ومشايجنا أجمعين:

باب

قول الله تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ } (الآية)

وقوله: { قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ } إلى قوله { أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ }

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين " [أخرجاه].

ولهما عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار " وفي رواية: " لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى . . . " إلى آخره .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: " من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولا يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلواته وصومه، حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً " [رواه ابن جرير]. وقال ابن عباس في قوله تعالى: { وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ } قال: المودة .

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:-

فقد قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - باب قول الله تعالى: (ومن الناس من يتخذ من

دون الله أندادا يحبونهم كحب الله)

تتمة الآية (والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب)

هذا باب شريف وسر شرفه تعلقه بعبادة هي أصل دين الإسلام وهي:

◇ محبة الرب - سبحانه وتعالى -

فإن أصل التبعّد لله والتأله له انجذاب قلبه له فإن معنى قولنا لا إله إلا الله أي لا مألوه إلا الله فالمألوه هو الذي تنجذب له القلوب محبة وتعظيماً،

فالمحبة هي أصل العبادات القلبية ولكن المحبة التي تنبغي لله محبة مقرونة بخوف مقرونة برجاء لا المحبة الصرفة التي يدعيها زنادقة الصوفية حتى إنهم يحولونها إلى نوع من العشق يسمونه العشق الإلهي ويغلطون فيها ويزعمون أنها تُنسيهم الخوف والرجاء فإن تلكم المحبة محبة بدعية ليست المحبة التي أمر الله تعالى بها ورسوله واعلموا - يارعاكم الله - أن

◇ المحبة من حيث هي نوعان :-

- محبة طبيعية: وهي عبارة عن ميل النفس لبعض المحبوبات؛ ولها صور متنوعة منها محبة إجلال كمحبة الابن لأبيه، ومنها محبة شفقة كمحبة الأب لابنه، ومنها محبة شهوة كمحبة الزوج لزوجته، وكمحبة الطعام والشراب ونحو ذلك من المحاب الطبيعية فهذا النوع من المحاب لا يلام عليه صاحبه ولا يتعلق به مقصود لذاته لأنه أمر جبلي طبيعي إلا أنه قد يلام عليه إذا خرج عن حده وتجاوز المألوف كأن يستغرق في محبوبات الدنيا إلى الحد الذي يمنعه من طاعة الرب - سبحانه وتعالى - ، مثل أن يستغرق في مجالسة أهله ويدع صلاة الجماعة، مثل أن يتعلق بأهله وأبنائه ويدع الجهاد المتعين في سبيل الله أو يدع الحج المفترض عليه ونحو ذلك

- وأما النوع الثاني من المحبة فهي محبة السر: وهي محبة العبادة وهي التي لا تنبغي إلا لله - عز وجل - فهي محبة من نوع فريد لا يجوز صرفها لغير الله إذ هي محبة عبادة مقرونة بكمال التعظيم والخضوع، وكمال الرجاء فقد جمعت محبة، وخوفاً، ورجاء، فهذا النوع من المحبة لا يكون إلا لله - عز وجل - وهو أعظم ما يكون في القلب من العبادات القلبية إذ الخوف ينقطع والرجاء ينقطع أما المحبة فهي باقية نامية فالخوف ينقطع كما قال الله - عز وجل

- (يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) فإذا بلغ الإنسان المنزل زال عنه الخوف أعني الجنة، وكذلك الرجاء فإن الرجاء إذا حصل منه المقصود الذي يسير إليه السالك انقطع، واطمأن القلب، لكن المحبة لا تزال تتعاضد في قلب المؤمن كلما ازداد علما وإيمانا فإذا بلغ جنة ربه ازدادت محبته لربه فهذه المحبة تنعش القلب، وتضمد جراحه، وتنفض فيه النشاط، والقوة على العمل الصالح وعلى حجز محبوبات النفس المنافية لطاعة الله

◆ وتأملوا في هذه الآية التي اتخذها الشيخ ترجمة لهذا الباب:-

قوله تعالى (ومن الناس) : "من" هذه تبعية أي بعض الناس والمراد بهم المشركون

(من يتخذ من دون الله أندادا): "أندادا" جمع ند وهو الشبيه والنظير ما صفة اتخاذه لهذه الأنداد

(يحبونهم كحب الله) : اختلف المفسرون في معنى قوله يحبونهم كحب الله أي أنهم يحبون الأصنام كما يجب

المؤمنون الله أي يحبون أصنامهم كما يجب المؤمنون ربه وهذه واضحة، التوجيه الثاني "يحبونهم كحب الله" أي يحبون أندادهم كما يحبون الله أي أنهم يحبون الله لكنهم يقعون في شرك المحبة، وهذا النوع الثاني هو الذي نصره شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله فوقع هؤلاء المشركون في شرك المحبة وذلك أن القوم أعني المشركين كانوا يحبون الله لكنهم يحبون أصنامهم وأندادهم كالمحبة التي لا تنبغي إلا لله فقد وقعوا في شرك المحبة ولهذا قال الله:

(والذين آمنوا أشد حبا لله): أي أن المؤمنين حبههم لله تعالى خالص لا تدانيه محبة أخرى ولا يقع لهم شرك في

المحبة فهم أشد حبا لله - عز وجل - فهم أشد حبا لله - عز وجل - من حب أصحاب الأنداد لله تعالى... وأما تتمه الآية وهي قول الله - عز وجل -:

(ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب): دل ذلك على أنهم يوم

القيامة يفجؤون حين يرون العذاب ويدركون أن القوة لله جميعا فمن كانت له القوة جميعا استحق أن يكون الحب له جميعا وأن يكون التعظيم له جميعا فهذا الباب مناسب لكتاب التوحيد لتعلقه بعبادة من أجل العبادات القلبية وهي عبادة المحبة

◆ ونستفيد من هذه الآية:-

- التحذير من شرك المحبة

- نستفيد أيضا أن من المشركين من يحب الله تعالى؛ ولهذا نجد أنهم يملفون به، ويحجون بيته، ويفعلون بعض الأمور التي يتقربون بها إليه لكنهم لا يفردون لها

◊ ثم ثنى المصنف - رحمه الله - : بقول الله تعالى (قل - والخطاب لنبينا ﷺ

إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها،
ومساكن ترضونها) كم هذه الأصناف؟ ثمانية أصناف تجمع أمهات المحبوبات الدنيوية

آباؤكم فيحب العبد أباه محبة إجلال،

"أبناؤكم" فيحب ابنه محبة شفقة ورحمة،

"إخوانكم" كذلك يحبهم محبة مودة ونصرة،

"وأزواجكم" محبة ميل وشهوة،

"وعشيرتكم" محبة انتماء،

"وأموال اقترفتموها" محبة شهوة أيضا وهي شهوة المال،

"وتجارة تخشون كسادها" والمقصود بالعشيرة مأخوذ من العشرة وهم جماعة الرجل وقبيلته،

وأموال اقترفتموها" معنى اقترفتموها أي اكتسبتموها فالاقتراف هنا بمعنى الاكتساب،

"وتجارة تخشون كسادها" أي خسارتها وفوات وقتها،

"ومساكن ترضونها" والمساكن هي المنازل وهي من محبوبات النفس أن يتخذ الإنسان له مأوى مستقرا

ولذلك يتنافس الناس في البنين، ويتطاولون فيه شكلا ومعنى (وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها)،

"أحب إليكم" لماذا نصبنا أحب؟ لأنها خير كان وإن كان تأخر فأباؤكم هنا اسم كان وما عطف على المرفوع فهو مرفوع وهذا هو خير كان،

"أحب إليكم" أي إن كانت هذه الأشياء المذكورة وهي ما يجبه الإنسان حبا اختياريا فطريا طبيعيا إن كانت محبتها مقدمة عندكم على محبة الله ورسوله

"فتربصوا" وهي عبارة تهديد ووعيد أي انتظروا ما يجل بكم من عقاب، والمقصود إذا حالت هذه المحبوبات دون محبوبات الله - عز وجل -

فمثال ذلك: أن يؤمر العبد بالهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام فيفضل البقاء في الأهل والعشيرة على طاعة الله تعالى بالهجرة إلى دار الإسلام، ولهذا توعد الله من وقع منه ذلك فقال سبحانه وبحمده: (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم) تقول لهم الملائكة عند القبض والاحتضار فيم كنتم (قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا إلا المستضعفين)،

ولما هاجر صهيب الرومي - رضي الله عنه - من مكة إلى المدينة وكان قد قدم مكة مولى ثم عتق والتجر وصار ذا مال فلما أراد الهجرة لحقته قريش حتى أدركوه في بعض الطريق فقالوا له ترجع جئتنا كذا وكذا وكذا قال ((إن في كنانتي بعددكم سهام وإنكم لتعلمون أي أحسنكم رميا فإن شئت لرميتكم جميعا ولكن رأيتم إن دلتكم على محل مالي أكنتم تاركي، قالوا: نعم. فدلهم على مكان ماله وانصرف مهاجرا إلى النبي ﷺ فلما قدم على النبي ﷺ بشره النبي ﷺ وقال ربح البيع أبا يحيى ربح البيع)) لأنه تخلى عن هذه الدنيا في سبيل حفظ دينه،

وكثير من الناس يحسب ألف حساب للدرهم و الدينار أن ينقص شيء منه إذا تعارض مع شيء من محاب الله - عز وجل - فإذا أراد مثلا الحج قال الحج يكلف خمسة آلاف أقل أكثر هذا مبلغ فيترك الحج مع أن الله قد فرضه عليه ولا يخفى ذلك من الأمور فهذا ينطبق عليه قول الله - عز وجل - : (فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)،

وهذا الحب أيها الإخوة:

- قد يكون نقصا في الإيمان الواجب
- وقد يكون نقصا في أصل الإيمان

فإن عارض أصل الإيمان فهو حب شركي،

وإن عارض واجبا من الواجبات فهو مناف للإيمان واجب يكون صاحبه تحت المشيئة والإرادة إن شاء الله عذبه بقدر ذنبه ومآله إلى الجنة، وإن شاء عفا عنه كما هي القاعدة المطردة في حكم أهل الكبائر،

وأما معنى "الفاسقين" فهو مشتق من الفسق ومعنى الفسق في اللغة الخروج فالفاسقون هم الخارجون عن طاعة الله لأن الفسق في اللغة معناه الخروج يقال تمر فاسقة إذا خرجت من قشرها يعني أراد إنسان أن ينزعها فخرجت من قشرها قالوا فسقت التمرة

◆ طيب مناسبة هذه الآية في الباب واضحة:

إذ أن فيها وجوب تقديم محبة الله تعالى على محاب النفس

◆ فنستفيد من هذه الآية العظيمة:-

- وجوب محبة الله وأنها من التوحيد

- أيضا وجوب محبة النبي ﷺ؛ وأنها من كمال الإيمان برسالته يعني من كماله الواجب

- وفيها أيضا الوعيد على من قدم هذه الثمانية على محبوبات الله ورسوله لقوله "فتربصوا"

◆ ثم ثلث المصنف - رحمه الله - بحديث أنس فقال: ((عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: لا يؤمن أحدكم حتى

أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)). [أخرجه]

هذا الإيمان المنفي هو نفي للإيمان الواجب أي لا يكون الإنسان مؤمنا بالإيمان الواجب عليه حتى تفوق محبة نبيه ﷺ محبة ولده، ووالده، والناس أجمعين،

وذلك - أيها الإخوان - أن من تأمل في نعمة الله تعالى علي ببعثة نبيه ﷺ أدرك أن حاجته إلى نبيه ﷺ أعظم من حاجته إلى أبيه وأمه، وطعامه، وشرابه، ونفسه

فهذه مقومات دنيوية، أما ما جاء محمد ﷺ فهي مقوم الدين والدنيا لا صلاح للدين والدنيا إلا بها جاء به رسوله ﷺ إذن لا بد من أن نقدم محبة النبي ﷺ على محبة الولد

فيشعر أحدنا في صميم قلبه أن محبته لنبيه ﷺ أعظم من محبته لابنه وابنته، وكذلك أيضا أعظم من محبته لوالده الذي يجله ومن الناس جميعا،

ولما سمع عمر هذا الحديث قال: ((يا رسول الله والله لأنت أحب إلي من ولدي ووالدي والناس أجمعين إلا من نفسي - هكذا عمر أخبر بالصدق - فقال لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال: أنت الآن أحب إلي حتى من نفسي فقال: الآن يا عمر)).

وذلك - أيها الإخوان - هذا لا يستنكر وهذا من عمر - رضي الله عنه - صدق وتحقيق لأن هذه المحبة التي أحدثها عمر نتجت عن نظر فهي محبة مكتسبة فلما أخبره النبي ﷺ بأنه لا يتم إيمانه الواجب إلا بأن يقدم محبته على محبة نفسه تأمل ونظر وأدرك بأن هذه المحبة يجب أن تفوق محبة النفس فقال الآن أنت أحب إلي من نفسي فقالها تحقيقا - رضي الله عنه - وشهد له من لا ينطق عن الهوى فقال الآن يا عمر

فنبينا ﷺ أثبت له هذه المحبة وبهذا يقطع الطريق على المتطاولين من مبغضي الصحابة كالرافضة حين يلمزون عمر - رضي الله عنه - بهذا فيقال لهم إن لمزكم إياه لمز للنبي ﷺ هل كان النبي ﷺ يقره على هذه الدعوى ويشهد له بذلك والأمر خلاف ذلك لا والله فلا شك أن عمر كان صادقا فيما أخبر وأنه قد اكتسب هذه المحبة لما علمه نبيه ﷺ بأن هذا من ضرورات الإيمان به

وبناء عليه - معشر الإخوان والأخوات - علينا أن نتعاهد قلوبنا حقا وأن نحقق صدق محبة نبينا ﷺ وما من مؤمن إلا وهو محب لنبيه قطعا لكن هل هذه المحبة هي كما شرط نبينا ﷺ لقد رأينا المسلمين بحمد الله حينما تطاول بعض الكفرة على نبينا بالرسوم المسيئة ضجت البلاد الإسلامية من أقصاها إلى أدناها وأعربوا عن سخطهم وبغضهم لهؤلاء الذين تجنوا على مقام النبي ﷺ بأنواع التعبير من الهتافات، والنداءات، والمظاهرات والمقاطعات ولا شك أن هذا دليل على صدق المحبة للنبي ﷺ لكن هذه المحبة في الواقع يجب أن توصف وأن تبين لجمهور المسلمين بأن المحبة الحقيقية للنبي ﷺ هي في اتباع أمره واتباع سنته والافتداء به فإن هذا هو عنوان المحبة الصادقة لنبينا ﷺ،

هذا خبيب بن عدي - رضي الله عنه - لما وضع بين السيف والنطع وجمهور المشركين قد تحلقوا حوله فيأتي إليه أحد المشركين يشاغله فيقول يا خبيب أتحب أن محمدا مكانك وأنتك بين أهلك وحبك فقال _ انظروا هذا الجواب

رجل ما بينه وبين الموت إلا ثوان معدودة _ فيقول والله ما أحب أن يشاك محمد بشوكة وأن أكون بين أهلي وحيي -
انظروا صدق المحبة -

يوم جاء وفد قريش وقالوا للنبي ﷺ في صلح الحديبية جعل النبي ﷺ لا يتنخم نخامة إلا وقعت في يد أحدهم فمسح بها وجهه وصدرة والمغيرة لعله المغيرة المخزومي كان يتعجب من هذا وإذا توضحاً اقتتلوا على وضوئه رأى عجباً حتى رجع إلى قومه فقال يا قوم لقد أتيت كسرى في إيوانه وقصره في قصره فما رأيت أحد يعظم أحداً كما يعظم أصحاب محمد محمداً لما رأى من إظهار محبتهم له ﷺ وكانوا يقولون فذاك أبي وأمي وهم صادقون يقونه بأنفسهم وأموالهم فهو لاء هم أهل الإيمان الصادق للنبي ﷺ ،

أما أقوام يدعون محبة النبي ﷺ وليس حظهم من محبته إلا أن يعقدوا الحضرات ويدبجوا القصائد ويهمهمون، ويتراقصون، ويقىمون الموالد ويزعمون أنهم يحبون النبي ﷺ وإذا دعوا إلى سنة من سنته كان عليهم أثقل من الجبل فهذه دعوى كاذبة وإنما زين لهم الشيطان أعمالهم -

◆ فمناسبة هذا الحديث للباب:

وجوب تقديم محبة الرسول ﷺ على محبة كل مخلوق لأن محبة النبي ﷺ متفرعة عن محبة الله
إلحظوا هذا المعنى يا إخوان ما سر محبتنا لرسول الله ﷺ كونه رسول الله لو كان مجرد محمد بن عبد الله القرشي
لربما أعجبنا به لخصاله وخلاله كما يعجب الإنسان بآخر كريم أو شجاع ، لكن المحبة الذي نبذلها للنبي ﷺ محبة
من نوع خاص محبة الرسالة فلأن الله أرسله واصطفاه أحببناه فمحبة النبي ﷺ فرع عن محبة الله عز وجل ويروى
في هذا قصة فيه نوع من الطرافة أن رجلاً قال لشيخه إني أحب أن أرى رسول الله ﷺ فدعاه الشيخ يوماً وقال
أطعم عندي طعاماً فقبل التلميذ دعوة شيخه وأتى فصنع له طعاماً وزاد في ملحه فجعل الطالب يطلب ماء
والشيخ يقول أتيتك به فما زال يؤجل حتى أتى موعد النوم وغلبه النوم فنام فلما استيقظ وقام قال له ماذا رأيت قال
رأيت أنهاراً وأمطاراً ومياهها وأخذ يذكر هذه الأشياء قال رأيت لما صدقت محبتك صدقت رؤياك على كل حال
المياه قصة معبرة وهو أن الإنسان كل ما كان صادقاً في محبته للشيء كان متبعاً موافقاً لمحوبات حبيبه

فأنى لقوم يدعون محبة النبي ﷺ وهم يخالفون هديه في الأصول والفروع!؟

و نضرب مثالا بسيطا إعفاء اللحية يعني كيف تطيب نفس مؤمن يعلم أن هذا هدي محمد ﷺ وأنه كان له لحية عظيمة تملأ ما بين منكبيه كيف تطيب نفسه أن يزهّد في هدي النبي ﷺ ويخلق لحيته أو يأخذ منها أو يقصرها ويتمثل بحال النصارى ومن شابههم نقول له ينبغي بصرف النظر عن موضوع حكم اللحية الحب الصادق للنبي ﷺ أن تتمثل سنته حتى إن هذا حمل بعض الصحابة رضوان الله عليهم على محاكاة النبي ﷺ فيما هو ليس من أمر التشريع يقول أنس - رضي الله عنه - رأيت يد رسول الله ﷺ تتبع الدباء في الصحيفة الدباء هو القرع يقول في الصحيفة في الإناء فكان النبي ﷺ يحب الدباء القرع فيتبعها يأكلها يقول فما زلت أحب الدباء هذا حب ناتج عن محبة المحبوب وإلا فلا نقول من السنة محبة القرع لأن النبي ﷺ فعل ذلك كمحبة طبيعية بل كان ابن عمر - رضي الله عنهما - يتحرى الأماكن التي نزل فيها النبي ﷺ في سفراته فينزل فيها بل والمواضع التي قضى فيها حاجته فيقضي فيها حاجته هذا كله ناتج عن المحبة وهو أمر مألوف في بني آدم فإن الإنسان إذا أحب شخصا تجد أنه يحاكيه، يحاكيه في طريقته في الكلام، ويحاكيه في خطه، يحاكيه في أسلوبه لأن هذا ناتج عن حب صادق فعلى أيها الكرام أن نملأ قلوبنا بمحبة نبينا ﷺ وهذا يحصل بإدمان قراءة سيرته وشمائله الكريمة فإن من قرأ في سيرة النبي ﷺ وتأملها امتلأ قلبه محبة لهذا النبي الكريم

وقد كان من آثار هذه الأحداث التي جرت من عدوان وتجنّي هؤلاء الطغام ممن رسموا النبي ﷺ بصورة مسيئة كان من آثار ذلك أن التفت بعض الناس إلى سيرة النبي ﷺ من الغرب وصاروا يقرأون عن هذه الشخصية التي ثار بسببها هذا الاحتجاج فكان في قراءتهم لسيرته وشمائله أعظم الأثر في اعتناق كثير منهم للإسلام

◆ ونستفيد من هذا الحديث:

- أن الأعمال داخلية في مسمى الإيمان خلافا للمرجئة؛ أين العمل ها هنا؟ المحبة لأن المحبة عمل قلبي والمرجئة يخرجون العمل عن مسمى الإيمان فيقال لهم أليست المحبة عملا قلبيا ليست اعتقادا عمل ها هي الآن صارت شرطا في الإيمان الواجب فهذا دليل على أن الإيمان حقيقته مركبة من قول وعمل

- فيه أيضا ما يدل على أن الإيمان يتفاضل وأن نقص بعض خصال الإيمان لا يوجب الخروج من الملة فلو قدر أن أحدا لم يبلغ هذه المنزلة يعني لم يقدم محبة النبي ﷺ على محبة ولده أو والده أو نفسه فلا يقال إنه كفر بذلك ولكن يقال نقص إيمانه وهذا لا يخرج عن الملة ولكن ينقصه عن درجة الإيمان الواجب

◆ ثم قال المصنف - رحمه الله - ولهما أي البخاري ومسلم عن أنس قال: ((قال رسول الله ﷺ: ثلاث من كن

فيه

ثلاث هكذا دون إضافة يعني ثلاث خصال

ثلاث من كن فيه : يعني من وجدن فيه

وجد بهن حلاوة الإيمان: أي من تحققت فيه هذه الخصال الثلاث حصل له نعيم في القلب وسرور وهي

حلاوة وحلاوة حقيقة

ولا يلزم من قولنا إنها حلاوة حقيقية أن تكون كحلاوة السكر لأن لكل شيء حلاوة تليق به فللمشروب حلاوة تليق به وللإيمان حلاوة تليق به "فحلاوة الإيمان" المراد بها ما يقوم بالقلب من نعيم وسرور وبهجة وبشاشة يجدها ويتذوقها الإنسان وجد بهن حلاوة الإيمان

"أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما": الله أكبر أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما اعرض

نفسك على هذا المعيار هل الله ورسوله أحب إليك مما سواهما من كل شيء من المخلوقات والمأكولات، والمشروبات، والملبوسات، والمركوبات، وغير ذلك يتبين هذا عند تضاد المحبوبات أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما

- الخصلة الثانية: "أن يحب المرء لا يحبه إلا الله": أي إن يحب الشخص محبة لا تكون إلا لله - عز وجل - يعني باعثها محبة الله سبحانه وبحمده لا لأجل جاهه، ولا لأجل ماله، ولا لأجل منصبه، ولا لأجل وسامته، ولا لأجل طرافته بل تكون محبة لله أي لحسن اعتقاده، وصلاحه، واستقامته، وحسن عمله وما أشبه ذلك

- الخصلة الثالثة: "وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه" كما يكره أن يقذف في النار الله: أكبر فعلا

هذا يعني علامة حسية واختبار حقيقي تبين أن هذا الإنسان يحب الله - عز وجل - ونبيه ﷺ محبة حقيقية وأنه قد وجد بذلك حلاوة الإيمان أن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه طيب هذا اللفظ:

"بعد إذ أنقذه الله منه": يدل على أنه قد كان كافرا فانتقل من الكفر إلى الإيمان، وبالتالي فقد يقول قائل فما بال

الذي ولد في الإسلام لن يمر على الكفر قد وردت في بعض الألفاظ أن يرجع أو نحو هذا مما يدل على أن الأمر معنوي ليس بالضرورة أن يكون قد كان كافرا ثم أسلم بل المقصود أن يكره أن يقع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه بعد أن الله تعالى كتبه مؤمنا ولم يتلطح بكفر كما يكره أن يلقي في النار فهذا الشعور يقع لمن تمكن الإيمان في قلبه وقد

جرى لبعض أصحاب النبي ﷺ ولمن قبلهم هذا المعنى فممن وقع له ذلك من أصحاب النبي ﷺ أحد الصحابة وهو حبيب بن زيد الذي بعثه النبي ﷺ إلى مسيلمة فجعل يقطعه إربا إربا ويقول له أتشهد أن محمدا رسول الله فيقول نعم أتشهد أني رسول الله لأن مسيلمة لم يكن ينكر رسالة النبي ﷺ لكنه كان يدعي أنه رسول معه فكان يقول إن في أذني لصمما مما تقول فكان يقول إن في أذني صمما مما تقول فما زال يقطعه إربا إربا حتى وقع نصفه على الأرض ثم مات - رضي الله عنه - وهو على هذا الحال انظر هذه المحبة، وفي التابعين أيضا يزيد بن الأسود الجرشي أدخله الأسود العنسي في النار لكن الله نجاه من النار كما نجى إبراهيم

فلا يزال يوجد من عباد الله - عز وجل - من تكون حلاوة الإيمان في قلبه توجب له أن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار، وبعض إخواننا الذين من الله عليهم بالهداية مروا بأحوال غواية، وضلال ومعاص ثم كتب الله لهم الإيمان يجدون في قلوبهم من اللذة ما يقول أحدهم أفضل أن أموت أو أهلك ولا أعود إلى حال السابقة تسمع هذا كثيرا على ألسنة المهتمدين فبشاشة الإيمان عظيمة فهذه الأوصاف الثلاثة أيها الإخوة من وجدت فيه وجد بهن حلاوة الإيمان

قال وفي رواية " لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى " وهذه الرواية عند البخاري وتناسب المعنى السابق

◆ فناسب هذا الحديث أن يورد في هذا الباب

لأن فيه منقبة لمن قدم محبة الله ورسوله على محبة ما سواهما

◆ ونستفيد من هذا الحديث فوائد عدة منها :-

- فضيلة تقديم محبة الله ورسوله على محبة ما سواهما

- ونستفيد أيضا فضل الحب في الله لقوله وأن يحب الرجل لا يحبه إلا لله؛ وهذا أمر يا إخوتي أرجو أن تنتبهوا إليه لأن كثيرا من الناس يرى في نفسه أنه يحب فلانا في الله والله، ولكن قد تكون هذه الدعوى غير محققة وإنما يميل إليه لداع آخر من الدواعي كأن يحبه لماله لوجاهته، لوسامته، لدعابته لأمر من الأمور فالله الله ابحث قلبك وتحقق من نواياك وإياك أن يدخلك الشيطان بأن يصور لك أن انجذابك لفلان أو إعلان حب في الله والأمر ليس كذلك، ولما قدم أبو إدريس الخولاني - رحمه الله - الشام أي دمشق قال دخلت المسجد فإذا بفتى براق الثنايا وإذا بالناس حوله مجتمعون فقلت من هذا؟ قالوا هذا معاذ بن جبل صاحب رسول الله ﷺ فرأيت الناس حوله يصدرون عنه

قال فلما كان في الغد هجرت إلى المسجد يعني بكرت فوجدته قد سبقني في التهجير فأقبلت إليه من بين يديه وقلت له إني أحبك في الله وقع في قلبه محبته فقال لي آله قلت الله قال آله قلت الله قال آله قلت الله يستحلفه بالله ثلاثا فلما قلت ذلك التزمني وقال أبشر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ((المتحابون في جلالي على منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء يوم القيامة)) فيا إخوتي دعوى المحبة في الله سهلة أن يقول الإنسان لصاحبه إني أحبك في الله وهذا من السنة إن كان يحبه حقا لكن تحقق أن ذلك في الله أنك ما أحببت هذا الشخص إلا لصلاحه، لاستقامة دينه، لاستقامة خلقه فهذا هو الذي يكون عبادة، أما الميل فقد يكون في بعض الأحيان مباحا وقد يكون في بعض الأحيان محرما فقد يميل الإنسان إلى آخر لتجانسهما في الطباع ولهذا يروى أو جاء في الحديث أن امرأة كانت تضحك الناس في مكة هاجرت إلى المدينة فنزلت على امرأة تضحك الناس في المدينة فلما بلغ النبي ﷺ ذلك قال الأرواح جنود مجنونة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فربما وقع بين بعض الناس نوع انجذاب وتواؤم بسبب تجانس الطباع فلا يثر على أحد في هذا لأن هذا في دائرة المباح إذن ما المحظور؟ المحظور أن يقع نوع من التآلق المحرم كما يسمى العشق والانجذاب ونحو ذلك فينجذب إليه لسبب من الأسباب الشهوانية، وقد يتماهى به الحال أعادنا الله وإياكم فيصبح محبة شركية وذلك حين يبلغ مبلغ العشق فإن العاشق مع معشوقه يقع منه أحيانا نوع شرك حتى إنه يفضل محبته على محبة الله - عز وجل -، وقد حكى ابن القيم - رحمه الله - في كتابه الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي الذي يسمى أحيانا الداء والدواء أمثلة لهذا فعلى الإنسان أن يحرس بوابات قلبه لاسيما في سن الشباب أن يتسلل إليه أو يدب إليه شيء من هذا إن في صفوف الشباب أو الشابات ما يعرف الآن باسم الانجذاب أو التعلق أو غير ذلك فإن هذه في الحقيقة مدارج للشيطان على الإنسان أن يحذر منها غاية الحذر - أيضا نستفيد من الحديث السابق محبة المؤمنين لله - عز وجل -

- ونستفيد أيضا بغض الكافرين والكفر لقوله "وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه"

◆ ثم قال وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: ((من أحب في الله، وأبغض في الله ووالى في الله، وعادى في

الله فإنما تنال ولاية الله بذلك)) يعني كأننا قال ابن عباس - رضي الله عنهما -:

فقد نال ولاية الله: يعني أتى بجملة شرطية من أحب في الله أين جواب الشرط جعله على هيئة جملة

فإنما تنال ولاية الله بذلك: يعني فقد نال ولاية الله إذن بم تنال ولاية الله بهذه الأربع:

(١) أحب في الله كما أوضحنا سابقا،

(٢) وأبغض في الله وقد تبين

(٣) ووالى في الله معنى، والى في الله بمعنى أنه ناصر فإن الولاية تعني المودة والنصرة فالمودة دل عليها قوله أحب في الله بقيت النصره فالمؤمنون بعضهم أولياء بعض فيكون موالاته ومناصرته للمؤمنين،

(٤) وعادى في الله: المعادة لها صورتان:

○ البغض القلبي

○ والمنابذة العملية

فالبغض القلبي دل عليه قوله أبغض في الله فبقي المنابذة يعني باللسان وبالفعال كالجهاد في سبيل الله - عز وجل - وولاية الله - عز وجل - لا شك أن الولاية تكون من الله للعبد ومن العبد للرب فولاية العبد للرب تكون بما تقدم بأن يجب في الله، ويبغض في الله، ويوالي في الله، ويعادي في الله، وولاية الرب للعبد تكون بمحبته إياه، ولطفه به، وإدخاله جنته، وغير ذلك مما يصنعه الله لعبده المؤمن

ثم قال ابن عباس:

((ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلواته وصومه حتى يكون كذلك)) دل ذلك على أن الإيمان يتفاضل

وأن من الناس من تكثرت صلواته وصومه لكن لا يتذوق طعم الإيمان وسر ذلك يا إخوان أن بعض من يفعل بعض الأعمال يؤديها على سبيل العادة يؤديها على سبيل التكرار لكن متى تظهر جوهر الإيمان بهذه التطبيقات الحب والبغض المولاة المعادة لأنها تدل على جذوة الإيمان في القلب وأن الإيمان يقظ وأن الإيمان حي بخلاف الإيمان الراكد الهامد الذي اعتاد الإنسان أن يصلي ويصوم جريا على العادة أو وراءها فهذا النبض القلبي بالحب في الله، والبغض في الله، والبدني بالمولاة والمعادة دليل على صدق الإيمان ولهذا يكون مدعاة لأن يجد طعم الإيمان

ثم قال ابن عباس معلقا: ((وقد صارت عامة مؤاخاة الناس عامة يعني أكثر مؤاخاة الناس أي تأخيهم

وعلاقتهم ببعض على أمر الدنيا)) الله أكبر يقول ابن عباس هذا في زمانه أنه صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا بينما كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يتآخون في روح الله لما وقعت غزوة بدر أسر المسلمون عددا من المشركين فكان ممن أسر حبيب بن عمير أخو مصعب بن عمير أسره رجل من الأنصار فمر مصعب - رضي الله عنه - كان هو صاحب الراية، فلما رآه أخوه حبيب فرح وظن أنه سيفكته من هذا الأنصاري فلما حاذاه وهو يرمقه

قال مصعب بن عمير للأَنْصاري أشدد عليه يدك فإن أمه ذات مال أشدد عليه يديك يعني جوده زين فإن أمه ذات مال يعني استفديه بفديه بالغة فظن حبيب أن مصعبا لم يعرفه فقال يا مصعب أنا أخوك قال هو أخي قبلك .

الله أكبر قدم محبة الإيمان وعلاقة الإيمان على كل شيء فمحبة الإيمان وإخوة الإيمان تقدم على إخوة النسب، ولهذا يروى أن من المسلمين من قتل أخاه وابن عمه وقريبه في الغزوات انتصارا لدين الله - عز وجل -

قال ابن عباس:

((وذلك لا يجدي على أهله شيء يعني لا يجدي على أهله شيء ينفعه)): بل يضره كما قال الله - عز وجل -:

(الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) فكل خلة في الدنيا تنقلب عداوة يوم القيامة إلا خلة التقوى فإنها ثابتة وباقية. رواه ابن جرير

◊ وقال ابن عباس: في قوله "وتقطعت بهم الأسباب" يعني المودة

الأسباب يعني جمع سبب وهي المودة

◊ فهذا الأثر مناسب جدا للباب

لأن فيه أنه لا بد في تحقيق محبة الله - عز وجل - لعبده وموالاته له من أمور منها محبة أولياء الله تعالى وبغض أعدائه بالقلب

والثاني مناصرة أولياء الله تعالى ومعادتهم بالعمل فلا يتحقق هذه الولاية بين الرب والعبد إلا بهذين الشرطين

◊ نستفيد من هذا الأثر من كلام ابن عباس - رضي الله عنهما -:

- ذكر الأسباب التي تنال بها ولاية الله، وتنال بها محبته

- وفيها أيضا إثبات المحبة من الجانبين فالرب سبحانه يحب ويحبه أولياؤه ويجب أولياؤه لكن له سبحانه محبة ليست كمحبة المخلوق فإن كانت محبة المخلوق فيها نوع انعطاف في القلب ورقة ولين فالله تعالى ليس كذلك ليس كمثله شيء له محبة تليق به نثبتها ونعلم آثارها

- في الحديث فضل الحب في الله، والبغض في الله، والموالاتة في الله، والمعاداة في الله فينبغي للإنسان أن يتمثل هذا وألا يضيعه ولهذا جاء في الأثر (أن الله أمر ملائكته أن يخسفوا بأهل قرية فقالوا يا ربنا إن فيها عبدك فلان ولم يزل يعبدك منذ كذا وكذا فقال به فابدأوا فإنه لم يتمعر وجهه في قط) يعني فعلا من مقاييس محبة الله - عز وجل - أن تنظر ماذا يكون في قلبك حينما ترى منكرا حينما تنتهك حرمة الله أيضا ما يكون في قلبك حينما تسمع بأمر يكون فيه نصره لدين الله وتبتهج حينما ترى أولياء الله فينشرح صدرك هكذا تظهر أثر الولاية الحقيقية لله - عز وجل -

- وفيه أيضا يعني ذم التأخي والتلاقي على غير الله - عز وجل - وعلى أمور الدنيا وأن الواجب أن يقيم العبد ذلك على أسس متينة من الحب في الله تعالى

◆ لنستمع إلى مسائل الباب.....

فيه مسائل :

-الأولى: تفسير آية البقرة.

[الشرح]: وهي الآية التي صدر بها المصنف هذا الباب (ومن الناس ...)

-الثانية: تفسير آية براءة.

[الشرح]: (قل إن كان آباؤكم...) التي فيها ذكر المحاب الثمانية

-الثالثة: وجوب محبته ﷺ على النفس، والأهل، والمال.

[الشرح]: كما قال: لا يؤمن أحدكم حتى ... فهذه للغاية

-الرابعة: نفي الإيثار لا يدل على الخروج من الإسلام.

[الشرح]: لا يلزم من نفي الإيثار في هذا النص أن يكون خارج عن الإسلام بل هو نقص في الإيثار الواجب

فلا يلزم منه الخروج عن وصف الإيثار

-الخامسة: أن للإيثار حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها.

[الشرح]: صحيح للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها، وقد دل على ذلك حديث ثلاث من كن فيه... فقد توجد في بعض المؤمنين وقد لا توجد ولهذا أخبر ابن عباس في شرحه أو كلامه قال وإن كثرت صلواته وصيامه مع أن هذا المصلي الصائم من جملة المؤمنين

-السادسة: أعمال القلب الأربع التي لا تنال ولاية الله إلا بها، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها.

[الشرح]: الحب في الله والبغض في الله والموالاتة في الله والمعاداة في الله ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها كما قال ابن عباس لن يجد طعم الإيمان حتى يحصلها

-السابعة: فهم الصحابي للواقع: أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا.

[الشرح]: نعم يعني أن الصحابي - رضي الله عنه - كان ملما بأمر مجتمعه وأنه قد جرى وفشا فيهم التآخي وإقامة العلاقات على أمور الدنيا

-الثامنة: تفسير { وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ } .

[الشرح]: حيث فسرها ابن عباس - رضي الله عنهما - بأن المقصود بالأسباب المودة وكما قال الله - عز وجل - (ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) عياذا بالله

- التاسعة: أن من المشركين من يحب الله حبا شديدا.

[الشرح]: نعم وذلك يؤخذ من تفسير الآية (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله) فمن المشركين من يحب الله - عز وجل - لكنه لا ينفعه لكونه وقع في شرك المحبة

- العاشرة: الوعيد على من كان الثمانية أحب إليه من دينه .

[الشرح]: في قوله: (فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)

- الحادية عشرة: أن من اتخذ ندا تساوي محبته محبة الله، فهو الشرك الأكبر.

[الشرح]: نعم في هذا تفصيل وهو أن من ساوى الله - عز وجل - بغيره في المحبة فقد وقع في الشرك الأكبر إذ المحبة عبادة بل هي أجل العبادات القلبية فمن سوى محبة غير الله بمحبة الله فقد وقع في الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، والله تعالى أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه؛